الوظيفة الدبلوماسية في القرن الـ ٢١

د. حمدي صالح*

المقدمة :

ان المقارنة بين مسرح العلاقات الدولية والدبلوماسية في مطلع القرن التاسع عشر عندما ظهرت أسس وقواعد الدبلوماسية الحديثة.

خاصة في مؤتمر فيينا ١٨١٥م، ومسرح العلاقات الدولية ودور الدبلوماسية في العقد الحالي من القرن ال ٢١ يظهر أن هناك عناصر استمرار وهناك أيضا عناصر تغير جذري في الحياة الدولية والدور الدبلوماسي.

فمسرح العلاقات الدولية في مطلع القرن التاسع كان عشر محدودا بالمكان والزمان وعدد الدول – لقد كان الدبلوماسيون الأوروبيون ماترينخ وتليران يجتمعون لكي يطرحوا صياغات لإعادة الاستقرار لأوروبا ولوضع قواعد للتحرك السياسي بعد الثورة الفرنسية وحروب نابليون، كان عدد الدول محدودا واللغة الدبلوماسية موحدة والمفاهيم التي تبسط في اللقاءات تكاد تكون مشتركة.

وكانت النظرتين التين سيطرتا على فكر الدبلوماسية في هذا العصر هي مفاهيم الوفاق الأوروبي Concert of Europe وتوازن القوى، وانتهى مؤتمر فيينا بوضع أسس للاستقرار في اوروبا استمرت لمدة مائة عام حتى عام ١٩١٤ عندما قامت الحرب العالمية الأولى.

لكن عالم اليوم يختلف اختلافا جذريا عن عالم القرن التاسع عشر، ولم يعد عدد الفاعلين في النظام الدولي محدودا – فعدد الدول قد تزايد الى مائتين دولة – بل لم تعد الدول هي الفاعلة الوحيدة في النظام الدولي، فظهر الى جانبها المنظمات الدولية والإقليمية، والمنظمات غير الحكومية والاعلام الدولي، ثم الجماعات المسلحة غير الحكومية.

ولم تعد القواعد التي تحكم النظام الدولي ترتكز على مفاهيم التوافق وتوازن القوى لقد ظهرت مفاهيم أخرى تعبر عن مستويات مختلفة من الصراع والتنافس ما بين الفاعلين في النظام الدولي[١].

---

* مدير معهد العلاقات الدولية (جامعة الشارقة).

ولم تعد السياسة الخارجية – سرا بين الدبلوماسيين والقادة – بل أصبحت الى حد كبير تتسم بالعلانية والشفافية، بل أيضا لم يعد هناك حواجز بين السياسة الخارجية والسياسة الداخلية وأصبح المحفل الدبلوماسي يتحرك على مسرح واحد داخليا وخارجيا.

لقد تغير المسرح الدولي تغيرا جذريا من حيث المشاركين فيه والمؤثرين عليه ومن حيث القضايا المطروحة عليه ومن حيث تسارع الأحداث وعلانيتها.

كيف يمكن للوظيفة الدبلوماسية أن تتوافق مع التطورات المتسارعة في القرن ال ٢١؟ وكيف تكون فعالة في مواجهة القوى الأخرى المؤثرة في العلاقات الدولية – من الاعلام والمنظمات غير الحكومية والدبلوماسية الشعبية والمبادرات الغير حكومية ؟

أولاً : الخريطة السياسية للعالم.

يتحدث هنري كسينجر، في كتابه "هل تحتاج أمريكا الى سياسة خارجية"[٢] عن أن العالم يمكن تقسيمه الى ثلاث دوائر، كل منها يتبع قواعد في الحركة السياسية تتشابه مع المراحل الثلاث التي مرت بها اوروبا في تطورها التاريخي منذ القرن السابع عشر حتى الآن.

فأوروبا الآن في القرن الـ ٢١– تمثل مجموعة دول قد اتفقت على التعامل فيما بينها على أسس وقواعد محددة وثابتة وليس هناك امكانية للتصادم المسلح بل إن معظم المشاكل والاختلافات هي اختلافات سياسية محددوة – او اقتصادية يمكن حلها عن طريق المساومات والمفاوضات.

لكن أوروبا في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين كانت مجموعة من الدول المتنازعة لتي تحكمها أديولوجيات وأفكار مختلفة ويجمع بينها التنافس الاستعماري وبالتالي كان هناك دائما احتمال الاحتكام الى القوة المسلحة ونشوب حرب – وان كانت هذه الاحتمالات لم تكن دائمة او عالية.

ويشير كيسنجر الى ان هذا النموذج هو الاقرب الى العلاقات بين الدول الاسيوية – خاصة عندما نتحدث عن العلاقات بين الهند وباكستان، كوريا الشمالية والجنوبية، الصين وجيرانها، ودول آسيا الوسطى.

وكانت اوروبا في القرن السابع عشر والثامن عشر مسرحا لصراعات أديولوجية ودينية كلفت القارة ملايين الضحايا، ولم يكن هناك امكانية لحلها الا بالصراع حتى وصل

الأمر الى ايجاد تسوية شاملة في مؤتمر وستفاليا ١٦٤٥م – وهو يشبه هذا النموذج بما يحدث في الشرق الأوسط من الصراعات بين الدول ويضرب المثل – بإيران وجيرانها، وإسرائيل وجيرانها، والصراعات المتعددة في الشرق الأوسط.

وبناء على هذا التحليل فان الوظيفة الدبلوماسية تتخذ أدوارا مختلفة في كل مسرح – ففي المسرح الاوروبي القانون والمفاوضات المباشرة هي الأساس – وفي المسرح الآسيوي – تلعب الدبلوماسية دور المهدئ والموازن والموضح للنيات[٣]، حتى توضح للأطراف المعنية أن الطرف الآخر لا يعني الحرب (الهند وباكستان).

وفي مسرح الشرق الأوسط تصبح الدبلوماسية مفيدة بإيجاد أفكار وصيغ للتوازن بين القوى وأفكار مبتكرة للبحث عن السلام والاستقرار.

اذ كانت هذه هي الرؤية التاريخية للمسارح الثلاث التي تشكل النظام الدولي في القرن ال ٢١ فان التحليل السياسي في اطار التحليل الواقعي (Realism) قد طرح رؤيتين أخريين.

- **اولهما:** رؤية جيمس روزانو[٤] الذي طرح أن النظام العالمي الآن تمكن تقسيمه الى نظامين – الأول يمثل النظام الدولي كما نعرفه تاريخيا – يمثل العلاقات بين الدول ذات السيادة وتحكمه القواعد المعروفة التي تطورت مع القانون الدولي وقواعد الدبلوماسية والعرف السائد في العلاقات الدولية والثاني هو نظام دولي آخر – ليس واضحا عدد الفاعلين فيه ولا درجة التفاعل بينهم، يشترك فيه فاعلين غير حكوميين– من منظمات دولية وأقليمية الى مجموعات غير حكومية مرتبطة بالمجتمع المدني الى مجموعات مسلحة غير حكومية – الى أنماط أخرى يمكن أن تؤثر في المجتمع الدولي، وعلى من يعمل في العلاقات الدولية أن يأخذها في حسابه.
- **والرؤية الثانية:** يطرحها جوزيف ناي عن أن الولايات المتحدة الأمريكية عليها أن تتعامل وتتحرك على ثلاث مسارح متشابكة – الأول هو المسرح الدولي الإستراتيجي يعنى بالقضايا الجيوبوليتيكية، والثاني هو المسرح الدولي الاقتصادي حيث القوى الفاعلة فيه ليست بالضرورة هي نفسها الفاعلة في المسرح الأول، والثالث هو مسرح القوى السياسية الغير حكومية والقوى المدنية[٥].

في إطار هذا يتضح أن الوظيفة الدبلوماسية عليها أن تتحرك على مستويات متعددة في نفس الوقت وأن يكون الممثل الدبلوماسي معتادا لتغير البيئة الدولية والقواعد التي تحكمها وفقا للمسارح المختلفة التي يتحرك فيها.

إن الدبلوماسية الجديدة تتحرك في بيئة دولية مختلفة كل الاختلاف عن البيئة التي ظهرت فيها أسس الدبلوماسية التقليدية كما أنها تتفاعل مع نظام دولي يتغير ويتشكل بسرعة.

ثانياً : البيئة الدولية في القرن الـ ٢١.

لقد تغيرت البيئة الدولية من عالم أوروبا المحدود العدد الى عالم يشمل الجميع، من عالم يقوم على مفهوم السيادة المطلقة للدولة على أراضيها وعلى رعاياها الى مفهوم السيادة المقيدة بميثاق الأمم المتحدة وقواعد التعاون الدولي.

لكن التغيرات في البيئة الدولية اكثر عمقا واكثر تأثيرا على الحركة الدبلوماسية والسياسية من هذا الاطار العام.

أن هذه التغيرات قد أدت الى تغير في مفهوم القوة وتوزيع القوى في الاطار الدولي وهو ما أثر على دور الدولة كمؤسسة سياسية – كذلك أثر على دور الفرد – المواطن – الذي أصبح فاعلا في الحياة السياسية، لقد طرحت التغيرات العميقة التي شهدتها البيئة الدولية في العقود الثلاث الماضية أجندة جديدة للعمل الدبلوماسي غير الأجندة التقليدية التي تعنى بالأمن القومي والعلاقات بين الدول.

ففي خلال ثلاثين عاما سقطت آخر الامبراطوريات ممثلة في الاتحاد السوفييتي عام ١٩٨٩م.

وتحولت دول أوروبا الشرقية نحو الديمقراطية وانتهت الحرب الباردة لتبدأ صفحة جديدة من الصراعات التي كانت كامنة تحت السطح، وظهر على السطح قوى جديدة تنازع النظام الدولي ككل، وظهرت مقولات عن الصراع بين الحضارات والثقافات.

أن البداية في تفهم البيئة الجديدة هي تفهم دور التغيرات التكنولوجية في عالمنا المعاصر والتحرك نحو العولمة Globalization وبادئ ذي بدء فان أثار العولمة لم تظهر بشكل متساوي ومتوازن في كل أنحاء العالم فمازال هناك مناطق أقل تأثرا بكثير من غيرها، لكن آثارها شكلت الاطار الذي نعيش فيه جميعا.

اذ كانت من نتائج العولمة وتطورات السياسة الدولية أن تأثر دور الدولة واتسع دور الأفراد – وانكمش دور الأيديولوجيات ليظهر عالم الاقتصاد باعتباره المحرك الاكبر للمصالح والتحركات السياسية كما كان من نتائج العولمة أن زالت الفواصل بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية، واصبح السياسي أو الدبلوماسي يتحرك على المسرح العالمي ككل.

وكان من نتائج العولمة ظهور قضايا جديدة لم تكن مطروحة بشكل جاد في العقود السابقة وكان من نتائج العولمة ان اصبح الاعلام الذي يغطي الاحداث على مدى ٢٤ ساعة في اليوم جزء لا يتجزأ من الحياة السياسية والحياة العامة – وكان من نتيجة العولمة ظهور الفاعلين الجدد في الساحة الداخلية والعالمية على حد سواء في التجمعات غير الحكومية أو المنظمات الأهلية أو الشركات العابرة للقارات.

وكان من نتيجة العولمة أن ظهرت على السطح مشاكل جديدة لم تكن في الحسبان وكانت كامنة في الوعي السياسي والثقافي للشعوب – بعضها يرتبط بذكريات قديمة أو مفاهيم غير واضحة على السطح، وظهرت ردود فعل عنيفة للعولمة تعبر عن الرغبة في الاحتفاظ بالذاتية الثقافية والتراث الحضاري الخاص بكل مجتمع أو شعب مهما كان محدودا في العدد.

لقد كان على الوظيفة الدبلوماسية أن تعكس هذه التطورات لان العنصر الاكبر في هذه الوظيفة هو قدرتها على التحليل والاتصال – القدرة على فهم التطورات السياسية الداخلية والخارجية – وإيصال الرسالة السياسية المطلوبة الى الطرف الآخر الذي لم يعد فقط في الاطار الرسمي وانما أيضا في الاطار المجتمعي والشعبي.

١) العولمة ودور الفرد والمجتمع الدولي:

إن التغيرات السابقة قد انعكست على دور الفرد والمجتمع والدولة، لقد أدت العولمة الى تمكين الفرد بشكل لم يكن متاحا في الماضي Empowerment لقد أصبح أمام الفرد – المواطن– مجالا للتعرف على ما يحدث – ان ثورة المعلومات Information Revolution قد أدت الى أن يكون المواطن على علم بالتطورات السياسية والاقتصادية بشكل متسارع ومتكامل، بل أن المواطن الآن أصبح في عديد من المجتمعات يستخدم التكنولوجيا الحديثة للاتصال والتواصل مع الآخرين داخل وخارج حدود الدولة، وظهر مايسمى بالمواطن الرقمي[٦] Digital Citizen الذي يتعامل مع الاعلام ومع الاتصالات من خلال ما يسمى بالـ Social Media.

أيضا ظهر على السطح امكانية أن يتصل المواطنون بالآخرين عبر الحدود وداخل الحدود ويرتبطون بمن يشاركونهم الفكر والرأي والمصلحة – وظهرت ثورة في الاتحادات والتجمعات Associational Revolution والتي جعلت الأفراد يتجمعون في أطر مختلفة لتحقيق مصالح أو تأييد مبادئ عامة(٧).

كان لهذا أثر على مفهوم الهوية Identity – حيث أصبح للمواطن ارتباطات وانتماءات متعددة وهو ما يجعل انتماءاته السياسية والثقافية متنوعة وأحيانا متضاربة، وظهر على وجه الخصوص هذا في أوضاع الجاليات المهاجرة من أفريقيا والشرق الأوسط والصين والهند وشرق آسيا الى الدول الأوروبية والأمريكية، حيث تصطبغ الهوية بلونين، أحدهما جديد يحمل الهوية الجديدة التي حازها بعد هجرته، وآخر يحمل الصبغة القديمة وانتماءاته للوطن الذي جاء منه، وأصبحت هذه الجاليات تلعب دورا هاما في تطوير البلد الام التي هاجروا منها ومثال ذلك (الجاليات الصينية والجاليات الهندية في الغرب).

بل ظهر أيضا اصطلاح المواطن العالمي(٨) Global Citizen الذي يهتم بالقضايا العالمية وليس له حدود Boundaries less.

وسواء كانت هذه المفاهيم مرتبطة بالنخبة أم أنها تنتشر تدريجيا، فانه لا جدال في أن الغالبية العظمى من الذين يتعاملون مع وسائل الاتصال الحديثة (التليفون أو الانترنت وقد انضما في جهاز واحد) – أصبحوا أكثر تأثرا بالفنون والأفكار القادمة من خارج الحدود عما كانوا من قبل.

ان أثر التكنولوجيا على الابعاد الثلاث للحياة الانسانية – الوقت والمسافة (أو المساحة) والكثافة قد غير كثيرا من طبيعة العلاقات بين الافراد والمجتمعات – فلم تعد المسافات عائقا كما كانت في الماضي، وأصبح احساس الفرد أو الجماعة بالمسافات والمساحات يختلف تماما، وأصبح التعاون بين الافراد والمجتمعات في المجال الاقتصادي والثقافي أكثر سهولة نتيجة تلاشي آثار المسافات على التجارة.

وعلى حين أن الزمن في الماضي كان عنصرا حاسما – بمعنى أن التعرف على ما يحدث في منطقة بعيدة كان يأخذ وقتا طويلا أو قصيرا، فان الآن عنصر الزمن في ايصال الأخبار والأفكار والأفراد والبضائع والخدمات قد تقلص لحد كبير، وأصبحت المعاملات الانسانية سريعة ومتلاحقة نتيجة التطور التكنولوجي.

ونتيجة لهذه التطورات التكنولوجية في الاتصالات والمواصلات فان كثافة اشتغال الأفراد والبضائع والمعلومات والأخبار أصبحت هائلة سواء عن طريق شبكات التلفزيون التي تقدم الأخبار على مدار الساعة أو من خلال الانترنت، ثم تداخل العناصر الأربعة للاتصال (الانترنت والتلفزيون، والتلفزيون والراديو) في جهاز واحد يمكن استخدامه في لحظات.

ان التطور الهائل في وسائل النقل للبضائع والافراد او التقدم الهائل في الطيران والسياحة، قد يسمح بتوسيع التجارة العالمية لدرجة غير مسبوقة وكذلك التوسع في السياحة وانتقال الافراد للعمل او للهجرة المؤقتة.

٢) انهيار الأيديولوجيات ونهاية الحرب العالمية :

ان هذه التطورات التي لحقت بحياة الفرد قد انعكست على المجتمع ككل – لقد أصبح التشابك ما بين المجتمعات اكثر كثافة واكثر عمقا مما كان في الماضي.

لكن كان من نتيجة هذا التطور المزدوج من انتهاء الحرب الباردة واندفاع موجة العولمة تقلص إن لم يكن زوال دور الايديولوجية في الحياة السياسية للمجتمعات Decline of Ideology وعلى حين أن انتماءات الفرد كان يمكن ان تقسم المجتمع الى يساري ويميني – بمعنى ايديولوجي، فان الآن هذه التقسيمات أصبحت مرتبطة اكثر بالاهتمامات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية(٩).

وعلى غير المتوقع فان انهيار الايديولوجيات ونهاية الحرب الباردة لم يؤدي الى مزيد من التعاون والترابط بين المجتمعات، بل ظهرت مشكلة أكثر عمقا وهي الانتماءات الدينية والعقائدية، واذا بالمتشددين من الديانات السماوية الثلاث والديانات الأخرى يلعبون دورا اكبر في التوتر والصراعات المحلية والإقليمية والدولية – ففي الهند هناك صراع بين الهندوس المسلمين، وفي بورما هناك أيضا صراعات بين البوذيين والمسلمين، ويوغسلافيا القديمة – ظهرت الحروب التي راح ضحيتها الآلاف من الأفراد في البوسنة في الصراع مع صربيا، وفي الصين أيضا صراعات عرقية بين المسلمين والحكومة.

وظهر في أمريكا وأوروبا الأصوليون الجدد Fundamentalist الذين راحوا يدفعون نحو التشدد في السياسة الخارجية والتمييز في السياسة الداخلية، والمحافظون الجدد Neo-conservatives الذين يدعون الى العودة الى سياسات الحرب الباردة(١٠).

ومن أكبر الأمثلة على امكانية اشتعال مشكلة كبرى نتيجة الحساسيات الدينية – ما أثير عن الرسوم المسيئة عن نبي الاسلام حيث لم تصلح الدبلوماسية التقليدية في التعامل مع ما أوقدته نيران التحيز وروجته وسائل الاعلام، قامت المظاهرات وانتشرت الصدامات في عام ٢٠٠٥م وأدت الى تصادمات وتوترات دولية عميقة استمرت لفترة.

كذلك فان العولمة قد تحركت بشكل اسرع في المجال الاقتصادي – لقد كان الاقتصاد هو المحرك الأول للعولمة يليه الاعلام.

ولقد أدت الى ربح الأسواق التجارية والمالية بشكل غير مسبوق، وكانت النتيجة أنه اي لزمة اقتصادية تحدث في احدى الاقتصاديات الرئيسية ستجد لها دوي في العالم كله(١١).

لقد تزايدت التعاملات التجارية بشكل غير مسبوق ودخلت سلع وبضائع لم تكن في اطار المعاملات التجارية من قبل، كذلك اتسع نطاق تجارة الخدمات وانتشرت ظاهرة التوريد Outsourcing في مجال الخدمات حيث من خلال وسائل الاتصال – الانترنت– يمكن أن تقدم خدمات من العاملين في الدول النامية الى الدول المتقدمة(١٢).

كذلك اتسع نطاق السياحة بشكل غير مسبوق نتيجة التقدم في وسائل الاتصال والمواصلات وانخفاض تكاليفها، وكان من آثار ذلك تزايد أهمية اقتصاديات السياحة في مناطق مختلفة من العالم.

لقد تحول العالم الى ساحة ثقافية واحدة، حيث أصبحت المنافسة الاقتصادية والتجارية عنصرا هاما وحاسما في الاقتصاد العالمي – وعبر عن هذا أحد رؤساء الشركات الهندية العاملة في المعلوماتية في الهند للكاتب الأمريكي توماس فريدمان : بأن العالم أصبح ملعبا مفتوحا أمام المتنافسين ولم يعد هناك حواجز– وخرج الكاتب الأمريكي ليكتب كتابا بعنوان "العالم أصبح مسطحا The World is Flat "(١٣).

وأصبح اقتصاديات المعرفة والتكنولوجيا عنصرا هاما في الاقتصاديات القومية، وأصبح الإستثمار في البحث العلمي والابتكار عنصرا حاسما في النمو الاقتصادي والمنافسة التجارية، أن الشركات الكبرى لا تستطيع أن تعيش دور مراكز البحث والتطبيق Research & Development.

وأصبحت الدول تنفق جزء هام من دخلها على البحث العلمي والابتكار وتتعاون في اجتذاب العقول والمبتكرين حيث أصبحت مشكلة في العالم الثالث (هروب المبتكرين والمبدعين Brain Drain).

لكن مفهوم القرية الواحدة Global Village الذي قد ذاع كمسمى للعولمة لم يصل بعد الى قسم كبير من الانسانية، اذ مازالت قطاعات كبيرة من الشعوب النامية محرومة من الاستفادة من ايجابيات العولمة في سرعة وكفائة الاتصال وسهولة المواصلات وأصبحت تعان من سلبيات العولمة حيث أن ما يصل اليها من الجوانب السلبية التي يجعلها تخسر الفوائد التقليدية في حياتها الاجتماعية أو مميزاتها الاقتصادية القديمة أو احساسها بنمو المجتمع المحلي اكبر من فوائد العولمة ان تصل اليها، وأصبحت المحاكاة للغرب أو التقاليد الواردة من الخارج عنصرا سلبيا في بعض المجتمعات.

ومن ناحية أخرى فان تسارع العولمة والتي يربطها كثيرون بانتشار المفاهيم الغربية Westernization أدت الى ردود فعل عنيفة رافضة للعولمة ومعادية للمفاهيم الجديدة التي تطرحها الوسائل الجديدة في الاتصال أو المواصلات وغيرها(١٤)، كما أنها أدت الى ظهور مجموعات منظمة وحركات غير منظمة معادية، باعتبار أن العولمة تهدد مفاهيمها التقليدية وقيمها وتراثها.

لقد كان الاقتصاد اسرع وأكثر فاعلية في الاستفادة من الثورة التكنولوجية التي أدت الى العولمة من عالم السياسة وكان لهذا آثار سلبية عديدة.

ثالثاً : الدبلوماسية والنظام الدولي.

الدبلوماسية : باعتبارها فن ادارة العلاقات بين الدول والمجتمعات تتحرك في البيئة الدولية المتغيرة وتلتزم بقواعد النظام الدولي الذي استقر في العقد الثاني من القرن ال ٢١.

والدبلوماسية في مفهومها التقليدي هي فن حل المشاكل من خلال المفاوضات وتقريب الروابط بين الدول والمجتمعات" Adjustment of disputes through negotiations"(١٥).

ولكن هذا يمكن فقط في حالة هناك اتفاق عام على النظام الدولي وقواعده، وعندما تكون هناك قوى دولية ترفض النظام الدولي وقواعده، مثل ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية، وإيران في الفترة الحالية، فان الدبلوماسية عليها أن تطور أساليب جديدة للتعامل مع هذه القوى.

كذلك لم يعد النظام الدولي دوليا فقط، فقد أصبح فيه فاعلين متعددين غير الدولة، وساعدت ثورة التكنولوجيا والمعلومات على دخول هذه القوى الى الساحة الدولية(١٦). وهنا تحتاج الدبلوماسية ان تطور اطارا للتعامل مع هذه القوى الجديدة.

أيضا أصبح النظام الدولي يمثل تداخلا بين ما هو جيوبوليتيكيي – أو عناصر القوة المسلحة والوزن السياسي وما هو جيو اقتصادي أو عناصر القوة الاقتصادية والوزن الاقتصادي.

ان الرؤية الدبلوماسية للنظام الدولي، والتي تقترب من الممارسة اكثر منها من التنظير ترى النظام الدولي على مستويات أربع – العلاقات الثنائية بين الدول، العلاقات الاقليمية بين دول المنطقة الجغرافية المحيطة، المنظمات الدولية والاتفاقات الدولية، ثم المجتمع الدولي ككل والذي يشمل القوى غير الحكومية والقوى غير الرسمية بين هذه التجمعات.

وينظم النظام الدولي عدة مستويات من القواعد والقوانين، بعضها جزء من القوانين والقواعد الوطنية المحلية، وبعضها قواعد دولية عامة، وبعضها قواعد خاصة، وهناك حالات ليس لها قواعد الى الآن.

"The rules of the game include some national rules, some international rules, some private rules -- and large areas of no rules at all".(17)

كذلك فان النظام الدولي يحمل في داخله أيضا اطارا مختلفا لتوزيع القوى Regime، ويكون على الممثل الدبلوماسي أن يتحرك ما بين المجالين – النظام القانوني، وإطار توزيع القوى Regime لكي يحقق أهداف دولتين خلال المفاوضات والمساومات والتفاهمات(١٨).

١) العلاقات الثنائية :

ما تزال العلاقات الثنائية بين الدول هي المحور الأول والأساسي في العلاقات الدولية – فرغم التحرك نحو انشاء منظمات دولية واقليمية عديدة الى أن العلاقات الثنائية تكاد تحكم التحركات داخل هذه المنظمات والتجمعات.

وفي المنظمات الدولية تستخدم عبارات نقل تبادل الميزات Trading Horses، كوسيلة للمساومات والاتفاقيات بين الدول داخل المحافل الدولية.

أن تطوير العلاقات الثقافية في مجالاتها السياسية والدفاعية والاقتصادية والثقافية هي أساس العمل الدبلوماسي، وهنا يتضح أن هناك نوعان من الموضوعات التي تحرك الدبلوماسية في القرن ال ٢١، ل...– **أولها** – ما يسنى بالأجندة التقليدية والتي ترتكز على الأمن والتجارة والتعاون الاقتصادي.

وثانيها – ما يسمى (بالأجندة الجديدة New Agenda) والتي تتبنى قضايا مطروحة أصبحت ذات أهمية استراتيجية كبيرة ومنها مجال الصراع الجوي) أنظر صراع الصين مع جيرانها(و قضايا المناخ ومكافحة الجريمة والارهاب والتعاون التكنولوجي وغيرها.

"The traditional agenda of international affairs-the balance among major powers, the security of nations –no longer defines our perils or our possibilities .... Now we are entering a new era . old international patterns are crumbling; old slogans are uninstructive ; old solutions arte unavailing . the world has become interdependent in economies, in communications, in human aspiration".(19)

وسواء أخذنا بالتقسيم الذي عرضة هنري كينسجر للنظام الدولي – باعتباره يتكون من أربعة دوائر – أوروبا والولايات المتحدة واليابان – حيث تطبيق مفاهيم الديمقراطية والعمل الجماعي – آسيا حيث الدول تتحرك من منطق جيوبوليتيكي وتواصل تحالفها من أجل الأمن وصراعاتها، والشرق الأوسط باعتباره مجالا للصراعات الأيديولوجية والعقيدية والدينية، وأفريقيا باعتبارها قارة تسعى للتنمية وتواجه حروب وصراعات ومجاعات ومشاكل عدة لو أخذنا بتقسيمات أخرى.

أو أخذنا بالتقسيم الذي يعرضه جوزيف ناي باعتباره العالم ينقسم الى ثلاث دوائر – دائرة ما بعد الحداثة Post Modern، وتضم أيضا أوروبا والولايات المتحدة واليابان، ودائرة القوة التقليدية التي تضم اسيا والشرق الاوسط ودائرة القوى الضعيفة والصغير والتي لا تسيطر عليها تحركات الاستراتيجية.

فان التحرك الدبلوماسي في كل دائرة لابد وأن يأخذ باعتباره احتياجات واهتمامات الدولة التي يعمل بها الدبلوماسي.

فالمجتمعات كما يقول كينسجر" تتواجد في التاريخ قبل أن تتواجد في الجغرافيا.

"societies exist in history before geography"(٢٠)

وهذا يعني أن الاطار التاريخي للمجتمع والسياق السياسي والجيوبوليتيكي للدولة يحدد اهتماماتها وانتماءاتها وقيمها وأهدافها.

ان التعاون مع دول الدائرة الأولى – يمكن أن يرتكز على تحكيم القانون الدولي من ناحية، والمنطق الاقتصادي البرجماتي من ناحية أخرى، كما يجب أن يستفيد من مجالات التحرك في المجتمع المفتوح للاتصال ليس فقط بالمؤسسات الحكومية وإنما أيضا المجتمع ككل(٢١).

كذلك يكون من المهم تفهم الصراعات داخل الحكومات والإدارات سواء ان كان بسبب تنافس على الأدوار أو صراع بين مؤسسات بيروقراطية، مثال ذلك في الولايات المتحدة الأمريكية، التنافس المستمر بين وزارة الدفاع ووزارة الخارجية، وكذلك بين مستشار الأمن القومي من البيت الأبيض.

الدائرة الثانية، وفي التعامل مع دول آسيا، حيث البعد الجيوبوليتيكي، يجب على الدبلوماسية أن تكون حساسة للصراعات الناشئة والعدائية بين الدول والمجتمعات.

لقد كان من أخطاء السياسة الأمريكية خلال حرب فيتنام، أنها لم تأخذ في اعتبارها العداء بين الشعب الفيتنامي اتجاه الهيمنة الصينية تاريخيا، لذلك استمرت الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية وفيتنام – مدعومة من الصين لفترات طويلة.

كذلك يكون من المهم تفهم النظام السياسي الداخلي وطبيعة الصراع بين القوى السياسية داخل الاطار السياسي وفي الاطار البيروقراطي بمعنى الصراع بين مؤسسات بيروقراطية داخل الحكومة نفسها.

وفي التعامل مع الشرق الأوسط، الدائرة الثالثة فان القضية المحورية، فان كانت دائما هي الصراع بين اسرائيل والعالم العربي، وكان هناك تصور لدى الغرب أن الدبلوماسية في الشرق الأوسط ما يسمى بدبلوماسية القضية الواحدة، فهو لابد أن يتحدث عن هذه القضية في كل مجال، لكن التطورات الاخيرة، أدت الى تعدد بنود الصراع والحساسية في منطقة الشرق الأوسط، سواء من الصراعات الداخلية داخل الدول العربية في المشرق العربي أو التهديدات المستمرة من دول الجوار (ايران وتركيا)، أو المشاكل المتعلقة بالمياه الإقليمية واكتشافات الغاز والبترول، الى المشاكل الاقتصادية والأزمات المختلفة التي تواجه هذه المجتمعات.

من هنا فان الدبلوماسية تتحرك من منطق تشابك القضايا وتوازن بين الدور الأساسي الذي تسعى اليه الدولة الذي يمثلها الدبلوماسي والمتطلبات التي تضغط من أجلها الدولة المستقبلة.

وفي افريقيا تكون قضية التنمية وحل مشاكل الفقر والمرض أهم محور دبلوماسي، يكون هناك أيضا التعاون الاقتصادي والسياسي من، هنا يكون دور الدبلوماسية هو البحث عن نقاط الاتفاق بين الدولة المرسلة ومصالح الدولة المستقبلة.

لكن في ادارة العلاقات الثنائية تظهر أربعة ملاحظات هامة تتعلق بتطور مفهوم القوة في العلاقات الدولية:

- **أولها:** أن مفهوم القوة قد تحرك من استخدام وزن الدولة العسكري وامكانياتها الاقتصادية الى استخدام وزن الدولة الثقافي والحضاري، وبدأت الدول الكبرى في التركيز على مفهوم القوة الناعمة Soft Power.

وهنا يكون دور الدبلوماسية في تحديد نقاط القوة لدى الدولة المرسلة في اطار القوة الناعمة واستخدامها أفضل استخدام من خلال الاطر ثقافية والحضارية مرتبطة بالتعاون الاقتصادي والتكنولوجي، ويأخذ الدبلوماسي في الحسبان أن القسم الاكبر من امكانيات القوة الناعمة ليست تحت سيطرة الدولة أو من انتاجها وانما من انتاج المجتمع المدني(٢٢).

- **ثانيا:** أن طبيعة العلاقات بين الدول الكبرى والصغرى تعكس عدم التوازن بين قوى الدول المختلفة، وهنا تأتي مشكلة أن الدول الكبرى قد لا تطبق قواعد القانون الدولي والدبلوماسي بنفس التفسير الذي تتبناه الدول الصغرى، بل أن الولايات المتحدة الأمريكية بالذات تطبق تفسيرا ضيقا للغاية لهذه القواعد.

وهو ما يخلق حساسيات متعددة مع الدول الصغيرة والمتوسطة، وهنا تكمن أهمية أن تتعامل الدبلوماسية من منطقة تشابك الموضوعات Issue Linkage، وهو يعني أن المواضيع التي تكون كالدول الضعيفة فيها وزن كبير يمكن أن تكون أداه في مرحلة المساومات والمفاوضات (مثال ذلك اهتمام الدول الكبرى بتصويت الدول الصغرى في المنظمات الدولية في قضايا اقتصاديا هامة).

- **ثالثا:** أن مجال الدبلوماسية في التحرك هو في المساحة الواقعة بين النظام الدولي International System، والإطار الدولي لتوزيع القوى Regime وهو ما يعني أن الدول الصغرى يمكنها أن تمارس أدوارا اكبر من وزنها العسكري او الاقتصادي في قضايا مرتبطة بالأجندة الجديدة أو القديمة عندما يكون لها قدرة على المساومة والمفاوضة Bargaining.

- **رابعا:** أن العلاقات الدولية بين الدول في النهاية علاقات بين مجتمعات وإذا استطاعت الدبلوماسية أن تطور من مفهوم تشابك المجتمعات Social Linkage. فإنها تجعل من تحقيق اهدافها من الاستقرار والأمن والسلام وزيادة التعاون الاقتصادي أقل صعوبة.

٢) العلاقات الاقليمية :

ترتكز دوائر اهتمام أي دول على المنطقة المحيطة بها أولا ثم المدار الأوسع عالميا. وفي هذا الاطار الاقليمي تلعب العلاقات الثنائية دورا محوريا كما ان في الاطار الاقليمي هناك ثلاث مستويات من الأنظمة الاقليمية.

أ- النظام الاقليمي في اطار منظمة اقليمية – كالجامعة العربية او المؤتمر الاسلامي، أو مجلس التعاون الخليجي في منطقة الشرق الأوسط، أو الاتحاد الاوروبي او المنظمات الاقليمية في آسيا وامريكا وأمريكا اللاتينية، بل أن الدول الكبرى ومنها الولايات المتحدة تسعى لإنشاء منظمات اقليمية تساندها على تحقيق اهدافها، وكان أولها انشاء منظمة الدول الامريكية ومقرها واشنطن، والتي تضم دول امريكا اللاتينية جميعها (كوبا مستبعدة حاليا)، ودور المنظمات الاقليمية الأساسي أن تخلق منبرا ومجالا Platform لمناقشة القضايا الاقليمية والعالمية وإيجاد إطار من التنسيق بينها وبين أعضائها.

ب- في الاطار الاقليمي ايضا هناك، اطارا لتوزيع القوى بين الدول المختلفة Power Distribution وهو ما يجعل الاطار الاقليمي ينقسم في تجمعات منظمة أو غير منظمة او غير مرتبة بين مجموعات من الدول للحفاظ على مصالحها في مواجهة محاولة طرف من الاطراف الهجوم او الهيمنة، وتغيير التحالفات بتغير الظروف والتغير المواضيع Issues.

ج- في الاطار الاقليمي أيضا ينشأ ما يسمى بالمجتمع الاقليمي الذي يضم منظمات غير حكومية وشركات كبرى ومؤسسات اعلامية وشبكات مصالح تستطيع ان تؤثر على السياسات الداخلية والخارجية للدول، بل أن هناك القوى الغير المنظمة التي تستخدم القوة المسلحة أو العنف والارهاب.

ويكون على الدبلوماسية أن تأخذ في اعتبارها هذه المستويات الثلاث من توزيع القوى والأدوار في الاطار الاقليمي، وأن تحدد أهدافها وفقا لما يمكن تحقيقه في هذا الاطار.

وقد أدى إنشاء المنظمات الإقليمية بكثافة في العقدين الماضيين إلى تزايد الضغوط على الوظيفة الدبلوماسية وأصبحت المنظمات الإقليمية تمثل مجالا فاعلا مهما ومؤثرا في السياسات الإقليمية.

ومن ناحية أخرى نسجل ظهور تجمعات إقليمية ثم عدم استمرارها وهو من سمات منطقة الشرق الأوسط - حيث ظهرت تجمعات إقليمية ما بين مصر والعراق وسوريا - ثم انتهت وتجمعات المغرب العربي - وتجمعات مصر والسودان وليبيا.

هذه التجمعات بذلت فيها الدبلوماسية جهدا كبيرا ولكن لم تنجح في بنائها نتيجة أن المناخ السياسي لم يكن مساعدا لنجاحها.

على حين أن التجمعات الإقليمية التي أنشأت على خلفية سياسية مواتية نجحت واستمرت بشكل فعال ومنها مجلس التعاون الخليجي - في المنطقة العربية.

أما التجمع الإقليمي الأشمل، هو الجامعة العربية فقد استمرت في أداء دورها بشكل أو بآخر رغم الهزات[٢٣] العنيفة التي واجهتها ومنها انتقال الجامعة العربية إلى تونس في فترة الثمانينات.

وبالإضافة إلى هذا ظهرت التجمعات التي تجمع أقاليم متعددة ومنها تجمع OPEC البترولي وتجمع OPAC - الذي يجمع الولايات المتحدة بالدول الباسيفيكية.

٣) المنظمات الدولية والاتفاقيات الدولية :

في عام ٢٠٠٥ تحدث سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة - جون بولتون- وذكر أن الأمم المتحدة كمنظمة لا وجود لها، أنما هي مقر تجتمع فيه الدول المستقلة ذات السيادة، لتقرر ماذا تريد عمله، أي أن المنظمة ليس لها دور مستقل وانها هي تلعب الدور الذي يراه الأعضاء.

ومن ناحية أخرى ظهر من يدافع عن الأمم المتحدة ويعطي أمثلة على أن لها دورا مستقلا، بعيدا عن عن تحالفات وصراعات الأعضاء.

لكن من هذين الجانبين المتناقضين يمكن تحديد الدور الحقيقي للأمم المتحدة فإننا نجد أن الأمم المتحدة أصبح لها دور حقيقي في المجتمع الدولي، فهي تمثل المجتمع الدولي بشكل عام، وما تعبرعنه قراراتها الصادرة من الجمعية العامة أو مجلس الأمن، يمثل الانجازات الرئيسية في المجتمع الدولي، فالأمم المتحدة تلعب أدوارا ثلاثة : فهي فاعل Actor - ولكنها هي أيضا مساحة للحوار الدولي Platform وهي مصدر Source للقوة والمعلومات وللتواجد للدول الصغيرة والمتوسطة.

واذ يعتبر ميثاق الأمم المتحدة دستور النظام الدولي فانه يطرح مفاهيم فلسفية واخلاقية ومفاهيم قانونية:

- **المفاهيم الفلسفية** : تعبر عنها ديباجية الميثاق حيث يتحدث عن أن الدول الأعضاء يجب أن تتعامل مع بعضها من اطار التسامح والجيرة الحسنة والحفاظ على السلام وتحقيق القضية والنمو للجميع.
- **المفاهيم القانونية** : فانها ترتكز على ثلاث مبادئ أساسية وهي المساواة بين الدول ذات سيادة – وتحريم استخدام القوة بين الدول الأعضاء الا في حالة الدفاع عن النفس والمساواة في حقوق الانسان، والمساواة بين النساء والرجال Gender Equality ومن أهم المبادئ التي جاء بها الميثاق" مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للأعضاء واحترام السيادة" (article {٧}) لكنه يضع هذا المبدأ بشكل غامض اذ يذكر أن الأمم المتحدة – (مجلس الأمن) لن يتدخل فيما هو أساسا Essentially في الشؤون الداخلية – وهنا ظهرت مشكلة تعريف ما هو الأساسي وما اقانون في الشؤون الداخلية التي يمكن أن تتدخل فيها الأمم المتحدة – كما أن المادة ٣٩ من الباب السابع أيضا ذكرت أن مجلس الأمن يمكن أن يتدخل في كل ما يهدد الأمن الدولي والسلام العالمي، ولكن تحديد ما يمكن أن يهدد الأمن الدولي والسلام العالمي ترك دون صياغة واضحة، وهو ما جعل لمجلس الأمن حق تحديد ما هو الذي يهدد السلام العالمي(٢٤).

على أن مجلس الأمن في العقود السبعة الماضية منذ انشاء الأمم المتحدة عام ١٩٤٥م قد اختار أن يستخدم سلطاته في التدخل بخصوص الحفاظ على الأمن والاستقرار الدولي بشكل أو محافظ Conservatively والبعض يقول أنه بشكل انتقائي Selectively بناء على مصالح الدول الكبرى دائمة العضوية في مجلس الأمن.

ان الدور الاساسي لمجلس الامن في الحفاظ على السلم والأمن الدوليين يعكس أيضا الدور المحوري الذي تلعبه الدول الخمس دائمة العضوية في النظام العالمي ككل، وعلى حين أن الدول دائمة العضوية ليست كلها بالضرورة أهم الفاعلين في النظام الدولي، فان استبعاد اليابان والبرازيل وألمانيا، وكذلك عدم مشاركة الدول الصاعدة في النظام الدولي، مثل (الهند او البرازيل) تلقي ظلالا على مفهوم الدول دائمة العضوية، فضلا عن مطالبات الدول من القارات الخمس بدور أكبر في مجلس الأمن ومن هنا نجد أن قضية اصلاح مجلس الأمن ما تزال موضع مناقشات مطولة دون الوصول الى نتائج بسبب عدم جدية الدول دائمة العضوية في تقبل التعديل أو التوسيع.

لكن الأمم المتحدة رغم كل هذه الملاحظات تقوم بدور جوهري في النظام الدولي – ليس فقط في الاطار السياسي متمثلا في مجلس الأمن والجمعية العامة، التي تمثل منبرا محوريا لرؤساء الدول في افتتاح الجمعية العامة في كل عام في سبتمبر حيث تتبارى رؤساء الدول ووزراء الخارجية على تقديم اطار عام لسياستهم والدعوة للأفكار والمبادرات الاقليمية والدولية.

وأيضا تلعب الأمم المتحدة دورا جوهريا في المجالات المختلفة للحياة الدولية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية والمناخية والعلمية، فمؤتمرات الأمم المتحدة المختلفة في شتى المجالات من : البيئة، حقوق المرأة، للتنمية، تمثل زخما عالميا للتحرك نحو أهداف دولية مشتركة.

كما أن وكالاتها المتخصصة تلعب دورا جوهريا في تطوير التعاون بين الدول في المجالات السابق ذكرها.

ورغم ذلك فان هناك فجوة كبيرة من الامم المتحدة كإطار فلسفي وقانوني وضع في الميثاق وتطور بالبيانات المختلفة التي صدرت عن الاجتماع الدولي، والدور الحقيقي الذي تلعبه المنظمة الدولية، حيث تجد هناك كثير من الانتقادات للممارسة وعدم الفعالية.

٤) التحرك الدولي خارج الأمم المتحدة :

تتحرك الدول في ثلاث مجالات خارج اطار الأمم المتحدة :

أ- في المفاوضات التي تجد الدول الكبرى أنها تستطيع أن تمارسها لتحقيق أهداف تتوازى مع أهداف الأمم المتحدة، ومنها مفاوضات الدول ٥+١ مع ايران ومفاوضات الدول الستة مع كوريا الشمالية وغيرها، للوصول الى اتفاقيات حول الحد من انتشار الأسلحة النووية وحصول الدولتين عليها.

ب- تحرك الدول الكبرى لتحقيق أهداف لا يكون هناك اتفاق عليها في مجلس الأمن ومن ذلك تحرك الولايات المتحدة ضد العراق في الحرب العراقية الثانية في اطار ما أسماه الرئيس الامريكي حينذاك – تحالف الراغبين Alliance of the Willing

ج- الاتفاقات المبرمة بين الدول الكبرى المنتجة للتكنولوجيا المتطورة في التسلح لمنع تصديرها الى الدول الأخرى ومنها ستة اتفاقيات رئيسية :

- لجنة زانجار The zangger committee ١٩٧٤ م حيث اتفقت كافة الدول على أن تحتفظ بمفاهيم بالأحداث المرتبطة بالتكنولوجيا النووية – لا تصدرها إلا بموافقة وكالة الطاقة النووية (احدى وكالات الأمم المتحدة).
- مجموعة المصدرين النوويين The nuclear Suppliers group ١٩٧٥ م، وهي اتفاقية بين ٤٦ دولة مصدرة للقدرات التكنولوجية النووية للتأكيد على أن أي صادرات لا يمكن أن تستخدم إلا في الاستخدامات السلمية للطاقة النووية.
- مجموعة استراليا The Australia Group ١٩٨٥ م وهي اتفاقية غير رسمية بين ٤١ دولة لمنع تصدير المواد التي يمكن استخدامها في صناعة الأسلحة الكيماوية.
- مجموعة واسينار the wassenaar arrangement ١٩٦٦ م لتقييد تصدير الاسلحة التقليدية وذات الاستخدام المزدوج وتضم أربعين دولة.
- نظام تقييد تكنولوجيا الصواريخ the missile technology control regime ١٩٨٧ م، وهي اتفاق غير رسمي بين ثلاثين دولة على عدم تصدير تكنولوجيا الصواريخ، وتبعها اتفاق دولي the international code على هذا عام ٢٠٠٢ م واتفقت عليه ١١٩ دولة[٢٥].

رابعاً : المجتمع العالمي و الفاعلين الجدد.

لكن الساحة الدولية الآن تزدحم بفاعلين جدد غير الدول، وأصبحت السياسة الدولية مجالا لتحركها أيضا ومن هذه القوى الجديدة أربع رئيسية – الشركات المتعددة الجنسية العملاقة – المنظمات غير الحكومية المتعددة الجنسية – الاعلام الدولي العابر للحدود – المنظمات غير الحكومية المسلحة والتي تستخدم العنف.

وبعد أن كانت الوظيفة الدبلوماسية تعبر عن التفاعل بين الحكومات ورؤساء الدول ووزراء الخارجية والدبلوماسيين، أصبحت الآن مطالبة بأن تتفاعل مع هؤلاء الفاعلين الجدد الذين أصبحوا مؤثرين بدرجة كبيرة.

١) الشركات متعددة الجنسية العملاقة :

أن قضية المناخ تعطي نموذجا للدور الفعال الذي تلعبه الشركات متعددة الجنسية العملاقة في المجال الدولي، الرسمي وغير الرسمي.

ففي عام ١٩٨٩م اجتمعت مجموعة من الشركات الدولية العملاقة لكي تستعد للمؤتمر الذي تنوي الأمم المتحدة عقده في عام ١٩٩٢م عن "تغير المناخ و البيئة"، وسميت هذه المجموعة. Global Climate Coordination.

واستطاعت هذه المجموعة أن تقنع الادارة الامريكية بعدم التوقيع على الاتفاق الذي توصل اليه المؤتمر وان تجعل قرارات المؤتمر توصيات فقط، ثم استطاعت أيضا أن تؤثر على على ادارة الولايات المتحدة في عام ١٩٩٧ م حتى لا توقع على الاتفاق الذي توصل اليه مؤتمر الأمم المتحدة للبيئة، والذي عرف ب .Kyoto protocol[٢٦].

لقد ظهر مفهوم جديد يجمع هذه الشركات العملاقة في اطار طبقة رأسمالية دولية International Capital Class.[٢٧].

ولقد كان من الطبيعي في بداية هذا القرن أن يتعامل الدبلوماسيون مع الشركات العملاقة – والتي أصبحت متعددة الجنسية Multinationals والتي كانت تسيطر على اقتصاديات دول متعددة في العالم الثالث.

إن قصة سيطرة شركة الفواكه المتحدة ومقرها كاليفورنيا على العديد من دول أمريكا الوسطى والتي سميت وقتها بجمهوريات الموز معروفة إذ كانت الشركة كانت تستطيع أن تغير الحكومات ورؤساء الدول في هذه الجمهوريات الصغيرة – وكان الدبلوماسيون الغربيون يتعاملون معها باعتبارها القوة المسيطرة.

وعلى الرغم من أن هذا يعتبر نموذجا استثنائيا – إلا أن نفوذ شركات البترول في الأربعينات والخمسينات على الدول المنتجة للبترول في الشرق الأوسط كان كبيرا و كان الدبلوماسيون يتعاملون معها من هذا المنطلق.

كذلك فان الشركات المنتجة للمطاط كانت تسيطر على انتاج المطاط في أربعينات القرن الماضي وكذلك الشركات المصدرة والمستوردة للمنتجات الخام والمواد الزراعية الان لها دور كبير في معظم دول العالم الثالث.

ويثار تساؤل حول من يستخدم من – هل الدول تستخدم الشركات العملاقة في زيادة نفوذها؟ – وهو الاعتقاد السائد في دول العالم الثالث، أم أن الشركات العملاقة تستخدم الدول والحكومات الغربية لتحقيق أهدافها في الإرباح والاتساع ؟، وهو الاعتقاد السائد في الدول الصناعية المتقدمة.

إن جولات الرئيس الأمريكي جورج بوش لصالح الشركات الأمريكية لتصدير الطائرات أو للبناء أو شركات تكنولوجيا المعلومات قد وضح مدى تدخل الدولة لصالح هذه الشركات.

ومن ناحية أخرى فإن ضغوط الشركات على بعض الدول الصغيرة في أفريقيا وآسيا للتصويت مع مواقف الولايات المتحدة تقدم نموذجا تحليليا لعمل هذه الشركات وفق مصالح الدولة – من هنا يتبين أن العلاقة بينهما تبادلية.

٢) المنظمات الدولية غير الحكومية :

لقد ازداد عدد المنظمات الدولية غير الحكومية بشكل كبير في العقدين الأخيرين وتشير بعض الاحصائيات أنها وصلت الى ٣٧ ألف منظمة وجمعية – ويتركز معظمها في الدول الصناعية المتقدمة.

وتحوز هذه المنظمات على الشرعية من الرأي العام ومنها مؤسسات تستطيع أن تحرك الرأي العام في القضايا الانسانية ومن أمثلتها :

- منظمة العفو الدولية Amnesty International
- منظمة الصليب الأحمر والهلال الأحمر
- منظمة أطباء بلا حدود Médecins Sans Frontières
- منظمة مراقبة حقوق الانسان Human Rights Watch

وليس فقط تستطيع هذه المنظمات أن تؤثر على الرأي العام بل أنها تستطيع أن تغير الأجندة الدولية بالتركيز على موضوعات رئيسية تهم الرأي العالمي.

٣) الإعلام العابر للحدود :

كان ظهور قناة CNN في نهاية الثمانينات نقطة فاصله في تحول الإعلام الى قوة مؤثرة وفعالة في العلاقات الدولية.

لقد أصبحت التطورات الإخبارية والإعلام الدولي عنصرا هاما في حسابات الدبلوماسية والسياسية.

وأصبحت الدبلوماسية تحسب حسابات دقيقة لما يمكن أن يقدم الإعلام عن التطورات الدولية أو الإقليمية أو الداخلية في كل دولة.

وكانت نتيجة تزايد دور الإعلام انه أنشأت معظم وزارات الخارجية إدارات للصحافة والإعلام وصنفت صفحة خاصة رسميا باسم الخارجية ثم أنشأت الدول الكبرى منصب مساعد وزير الخارجية للدبلوماسية العامة.

في وزارة الخارجية الأمريكية منصب (Undersecretary for public Affairs)[٢٨]. لكن الوظيفة الدبلوماسية ما تزال قاصرة عن التعامل بشكل فعال مع الإعلام حيث تتناقض طبيعة العمل الدبلوماسي التقليدي المبني على السرية مع انفتاح الإعلام – كذلك فإن معظم وزارات الخارجية تفرض قيودا على مشاركة الدبلوماسيين في البرامج الإعلامية، وهو ما يحتاج إلى إعادة نظر و إعداد الدبلوماسيين بشكل أكبر للتفاعل مع وسائل الإعلام[٢٩].

٤) الفاعلين غير الحكوميين المستخدمين للعنف :

ومن القضايا الرئيسية التي أصبح على الدبلوماسية أن تحكمها وتواجهها وتتفاعل معها، قضية ظهور القوى غير الحكومية المستخدمة للعنف، ورغم أن هذه الظاهرة مرتبطة بضعف الدولة، وظهور ما يسمى الدولة الفاشلة Failed State، الا أن هناك أيضا قوى دولية تستخدم العنف على مستوى دول ومنها تنظيم القاعدة.

وقد درجت الدبلوماسية على اعتبار هذه المشاكل مرتبطة بقطاع الأمن وبالتالي فان تحديدها ومواجهتها مرتبطة بالأمن ومؤسسات الدفاع الوطني.

ولكن لان الدبلوماسية تواجه زخما من المعلومات – وتهديدات مباشرة من هذه القوى في بعض الأحيان بالإضافة الى تزايد الابعاد السياسية والاجتماعية لها، ان في هذه العناصر تجعلها موضع اهتمام الدبلوماسية في القرن ال ٢١.

لقد انتشرت القوى الغير حكومية المستخدمة للعنف في العقدين الماضيين وبالرغم من أن هناك نماذج سابقة في اوروبا، معظم الجيش الأحمر في ايطاليا ومنظمة الجيش الايرلندي الا انه لم لها صفة العالمية كما نرى الآن حيث ظهرت هذه القوى تتخذه متكأ للشرعية، قضايا ايديولوجية او اقتصادية او اقليمية او اجتماعية او وأخيرا وأهمها الدينية.

ويتضح دورها في عديد من الدول التي تشهد تراجعا في دور الدولة مثل لبنان والعراق واليمن وانهيار دور الدولة مثل افغانستان والصومال وليبيا.

ويمكن تقسيم هؤلاء الفاعلين المسلحين الى أربعة نماذج : أولها الفاعلون الامنيون الذين يسعون لتحقيق أهداف سياسية محدودة ومنهم أمراء الحرب في الصومال وأفغانستان والجماعات المحاربة للدولة والفوضويون، ثم هناك الجماعات الدينية والتي تطرح رؤية دينية تختلف في قيمها عن المجتمع الذي تعيش فيه.

ثم جماعات الجريمة المنظمة والتي تتحرك بلا حدود لتنظيم مؤامرات وجرائم متعددة الأشكال، ثم شركات الأمن الخاصة التي يمكن استخدامها بتنفيذ عمليات... بصرف النظر عن الغطاء السياسي والايدولوجي، كذلك يمكن تقسيم هذه القوى الى نوعين حسب النطاق الجغرافي لحركتها – منها التى تعمل في نطاق الدولة وتلك التي تعمل خارج نطاق الدولة وعلى اتساع خريطة العالم.

ويمكن ارجاع اسباب ظهور هذه الجماعات الى خمس عناصر :

١. ضعف الدولة وعدم قدرتها على تحقيق الأمن او ايجاد الفرص الاقتصادية المناسبة او المشاركة السياسية لمواطنيها.
٢. اتساع تجارة السلاح في الفترة الأخيرة وتهريب المعدات الحربية، نتيجة تفكك عدة دول ومن بينها ما حدث في ليبيا والعراق.
٣. اتساع نطاق الاقتصاد المحظور، سواء غسيل الأموال أو تجارة المخدرات حيث تمثل زراعة الأفيون في أفغانستان المصدر الأساسي للدخل لافراد الحرب من ناحية ولتنظيم القاعدة من ناحية أخرى.
٤. حول الولاءات على المستويات الاجتماعية المختلفة، على مستوى الفرد أو الجماعة، وظهور ولاءات جديدة تؤدي لانخراط الافراد في عمل مسلح يمثل هذه الولاءات الجديدة.
٥. ظهور قيادات ميدانية محفزة، تستطيع أن تستخدم الوسائل الجديدة التي قدمتها تطور العولمة في حشد الأعضاء وتكوين الجماعات السرية.

لكن استمرار هذه الجماعات يعني أن البنية الاجتماعية تعطيها قدرا من القبول والشرعية وهو ما يجب أن يأخذ في الحسبان لدى حساب امكانية مواجهتها، وهنا يثور التساؤل حول الأسباب التي تدفع المجتمع لكي يكون أكثر قبولا للفاعلين العنيفين وماهو مصدر الشرعية التي يحصلون عليها سواء باستخدام الدين أو الايديولوحيات السياسية او غيرها[٣٠].

ان التساؤل الأساسي الذي يواجه الدبلوماسية في تحليل ومواجهة هذه القوى ما هي الأسس التي يبنى عليها سلوك هذه الجماعات وهل تتحرك وفقا لمتطلبات أيديولوجية فقط انها تتحرك وفقا لمعطيات الموقف السياسي – وبالتالي هل يمكن أن يقال أن سلوكها يقارن بسلوك الدولة أم أنها سلوك مختلف[٣١].

فمن الواضح أن الهدف الأول لهذه الجماعات هو التأثير على سياسات الدولة وعلى تحويل الانتباه الدولي لأجندة مختلفة يرونها أكثر مصداقية لكن دورهم لا يكون فقط في هدم الاستقرار- بل أن بعض المنظمات المانحة الدولية الغير حكومية – تتفق مع هذه الجماعات لحماية نشاطها وتوزيع المنح الانسانية في افريقيا وخصوصا في الصومال والكونجو والجنوب الافريقي، وبالتالي تصبح عنصرا في الحفاظ على الأمن والاستقرار بشكل مختلف.

لقد جعلت هذه الجماعات تكلفة الحرب عالية بالنسبة للدول التي لم تتعود على مفهوم حرب العصابات وحروب الاستنزاف الطويلة War of Attrition كما جعلت الصراعات العسكرية في هذه المناطق تأخذ وقتا طويلا وضحايا كثيرين، ومن ذلك ما يحدث في افغانستان وما حدث في العقد الماضي في العراق.

وأخيرا فان بعض هذه المنظمات قد تحولت تدريجيا الى منظمات غير عنيفة وتدخل الحياة السياسية المحلية وتسعى للاعتراف بها دوليا، ومن نماذج ذلك حزب الله اللبناني.

خامساً : عناصر الاستمرار وعناصر التغير الدبلوماسي.

بالرغم من التغيرات الجوهرية على البيئة الدولية التي تعمل بها الدبلوماسية الا أن هناك العديد من عناصر الاستمرار في التقاليد الدبلوماسية والمهارات القديمة المرتبطة بالوظيفة الدبلوماسية.

ان هناك العديد من المفاهيم التي استمدت منها دبلوماسية القرن التاسع عشر والتي تركت أثرا على التغيير السياسي في عصرنا الحالي.

وهنري كيسنجر عندما حاول أن يدرس طبيعة العلاقة بين الدولتين الأعظم أثناء الحرب الباردة، استوحي المفاهيم والمهارات الدبلوماسية في عصر مؤتمر فيينا ١٨١٥ م وكان كفاية عن عالم القرن التاسع عشر نموذجا استوحاه عندما طبق استراتيجياته ودبلوماسيته على صراعات الحرب الباردة في سبعينيات القرن الماضي.

اذ تطرح دراسته عن عالم القرن التاسع عشر تحت عنوان "عالم يعود" A World Restored – مفهومين أساسين شغلت بهما الدبلوماسية في هذه الفترة – وهو مفهوم توازن القوى ومفهوم الوفاق – ومازالا المفهومين يمثلان الصيغة الاهم في دراسة طبيعة العلاقات بين الدول من المجتمع الدولي و طبيعة العلاقات بين القوى المختلفة في المجتمع العالمي.

وما تزال المعضلة التي واجهت الدبلوماسية الاوروبية في اثناء الحروب النابوليونية، حيث كيفية التعامل مع قوة ترفض النظام الدولي وأسس التعامل فيه وتحاول أن تفرض رؤيتها على القوى الاخرى – وكانت هذه الفترة –فرنسا النابليونية – ما زالت هي المعضلة التي تواجه الدبلوماسية في القرن ال ٢١ في مواجهة قوى مثل ايران، ترفض النظام الاقليمي وتحاول أيضا الدخول في مصاف الدول النووية –رغم قواعد النظام الدولي.

كذلك ماتزال مفاهيم توازن القوى تمثل عنصرا أساسيا في تعامل القوى الغير حكومية المستخدمة للعنف – وبالتالي يطرح النظام الدولي مفهوم الوفاق في مواجهة هذه القوى – وهو ما حاولت ادارة الرئيس بوش الابن القيام به لمواجهة هجمات القاعدة من خلال تأسيسه بما يسمى تحالف الراغبين – كذلك تسعى الولايات المتحدة الى ايجاد اتفاق عام بين الدول لمواجهة العنف والإرهاب.

ان المفاهيم التي استخدمها ماترينخ وتاليران وكالستيرج في بناء الوفاق الاوروبي بعد الحروب النابوليونية واثناء مؤتمر فيينا ١٨١٥ ، ما تزال عنصرا هاما في الحياة الدبلوماسية.

كذلك ما تزال السفارات تقوم بدور هام رغم كل التطورات في الاتصالات المباشرة بين الدول وما تزال عملية التمثيل الدبلوماسي والقنصل – عنصرا هاما في العلاقات بين الدول، وزادت عليها أهمية التعامل مع القوى الجديدة في المجتمع والجاليات المختلفة المهاجرة وانتقال العمالة.

من هنا نطرح عناصر التغيير في التعامل مع المجالات الجديدة في التعامل الدبلوماسي وخصوصا التعامل مع وسائل الاتصال والتعامل مع الاعلام والرأي العام والتعامل مع القضايا المتخصصة وظهور ما يسمى بالدبلوماسية المتخصصة كما نشير الى التشابك المتزايد من الشؤون الداخلية والخارجية والذي جعل الدبلوماسي يتحرك على مسرحين في نفس الوقت، المسرح الداخلي والمسرح الدولي ككل.

سادسا : الدبلوماسية و التكيف مع البنية الجديدة.

كيف استطاعت الدبلوماسية أن تتكيف مع البيئة الجديدة التي خلقتها تسارع عناصر العولمة، سواء في ثورة الاتصالات وتزايد تأييد الرأي العام وتنامي دور المجتمع المدني وظهور القيم الانسانية الجديدة[٣٢].

١) ثورة الاتصالات :

إن تطور الاتصالات مرت بخمس مراحل أساسية - أولها كانت مرحلة اكتشاف الطباعة ١٥٣٤م على يد جوتنبرغ الألماني وبعدها كان اختراع التلغراف عام ١٨٤٧م ثم اختراع التلفون عام ١٨٧٥م ثم الإذاعة عام م١٩٠١ ثم التلفزيون ١٩٢٧م ثم مرحلة الانترنت التي بدأت في التسعينات(٣٣).

تأقلمت الوظيفة الدبلوماسية مع الثورة الأولى لعالم الاتصال - الطباعة بشكل بطيء حيث لم تنشر الدول المختلفة سياساتها وبياناتها الا في منتصف القرن الثامن عشر.

لكن الوظيفة الدبلوماسية لم ترحب بالتلغراف ووجدت أنه يقضي على مبدأ السرية التي كانت به لفترات طويلة ثم بدأت تستخدمه في نهاية القرن التاسع عشر في رسائل مزمزة وأيضا لم يكن التلفون وسيلة أساسية في العمل الدبلوماسي لفترة طويلة _ بل لم يكن الاتصال غير المباشر إلا من خلال حامل الحقيبة أو الرسل مقبولا بشكل عام. وكانت أزمة كوبا نموذجا للتحول الكبير في الاعتماد على الاتصالات التلفونية في الحياة السياسية الدولية.

عندما اتفقت الدولتان الأعظم - الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على إنشاء الخط الأحمر مباشرة بين رئيسي الدولتين في ذلك الوقت، جون كينيدي وميخائيل غورباتشوف.

ولقد أثرت الإذاعة والتلفزيون عل الحياة السياسية بشكل عام وجعلت الدبلوماسية تخرج إلى العلنية بشكل كبير، فأصبحت المؤتمرات والاجتماعات الدبلوماسية تغطى إذاعيا وتلفزيونيا وأصبح من المعتاد أن يقدم الدبلوماسيون تعليقات على لقاءاتهم في الإذاعة والتلفزيون عبر الاجتماعات وهو ما غير كثيرا طريقة تعامل الدبلوماسية وبدأت ما يسمى بالدبلوماسية العامة الآن.

وحتى الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ والتي اعتمدت على إرسال آية الله روح الله الخميني بخطاباته إلى الجماهير الإيرانية على شرائط الكاسيت وتهريبها إلى داخل إيران خلال حكم الشاه مما أدى إلى قيام المظاهرات والاضطرابات المتلاحقة التي انتهت بسقوط النظام البرجوازي وعودة الخميني من منفاه في باريس وإنشاء دولة ولاية الفقيه في إيران.

إن استفادة الحياة السياسية من شرائط الكاسيت أدت إلى إن يقوم الدبلوماسيون أيضا بتسجيل أحاديثهم ولقاءاتهم بشكل مكثف - كدليل على ما ذكروه في الاجتماعات والاستفادة منه في المستقبل بشكل حرفي.

وكانت الوظيفة الدبلوماسية أبطأ في الاستفادة من الانترنت حيث كانت هناك تعليمات من وزارات الخارجية المختلفة للدبلوماسيين بعدم استخدام الانترنت في المراسلات الهامة

او التي لها طابع السرية، باعتبار أن الانترنت مكشوف للجميع وخصوصا للدول ذات التطورات التكنولوجية العالية، ثم تطورت الأمور لتصبح الانترنت وسيلة أساسية في التراسل الدبلوماسي، سواء السري آو العلني.

وواجهت استخدام الانترنت مشكلة كبيرة بنشر وثائق ويكيليكس Wiki leaks وهو ما أدى إلى قيام إدارة الرئيس أوباما بإعادة النظر في طبيعة التراسل الدبلوماسي من خلال الانترنت وتطوير وسائل الأمن الخاص بها، وما زالت هناك قيود على استخدامها حتى الآن.

ومن ناحية أخرى فإن إدارة أوباما أنشأت قسما خاصا في وزارة الخارجية الأمريكية لمتابعة الانترنت و للرد على تساؤلات المواطنين أو الأجانب و لوضع أخبار الوزارة و سياساتها على صفحات متعددة باسم وزارة الخارجية الأمريكية.

هذا السرد لتاريخ مدى تكيف الوظيفة الدبلوماسية مع التطورات التكنولوجية في عالم الاتصال تعكس أيضا مدى تكيف الحياة السياسية بشكل عام مع التطورات التكنولوجية، وعلى حين أن الوظيفة الدبلوماسية لم تشهد تكيفا سريعا مع التكنولوجيا فإن الحياة السياسية شهدت تحركا سريعا في تكيفها مع التطورات التكنولوجية – ومن أهم النماذج التي تذكر بالنسبة لتكيف الحياة السياسية مع التطورات التكنولوجية هو ما يسمى بثورة الكاسيت.

٢) الدبلوماسية والتطور في دور المجتمع المفتوح :

يواجه الدبلوماسي التغيرات في المجتمع المحلي لبلده وفي المجتمع الذي يمثل بلده فيه ويتعامل مع مجتمعات مختلفة منها الأقليات من بلده والطوائف المختلفة آلتي ترتبط بثقافته ومنطقته مثل التجمعات الإسلامية والعربية والأفريقية.

كما يواجه الدبلوماسي التعامل مع المواطنين والانتماءات المختلفة وهناك مثلا نماذج لمواطنين بريطانيين يتحركون بشكل غير مسبوق لتأييد جماعات المعارضة في الشرق الأوسط ولدعم حقوق الإنسان.

كما يواجه الدبلوماسي مشكلة اتساع النطاق العام Public Sphere حيث يجد أن الإعلام والرأي العام في البلد الذي يعمل فيه يهتم بقضايا متعددة يعتقد أنها محلية أو أنها ذات خصوصية دينية وثقافية وعليه أن يتعامل مع هذه التطورات من منطق جديد وليس من منطق الرفض كما كان في الماضي.

كما يواجه الدبلوماسي قضية إعادة تفسير الذكريات التاريخية القديمة – حيث تظهر بين الحين والآخر أطروحات إعلام أو قضية (سينما ومسرح) عن الذكريات الأليمة لشعب ضد شعب آخر مثال ذلك الحديث عن الحروب الصليبية في الشرق والغرب وإثارة عواطف البغضاء بين المجتمع بإعادة تقديم الذكريات التاريخية في منطق يتناسب مع القرن أل ٢١ وإطار المجتمع الدولي القائم على التعايش المشترك والتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي[٣٤].

٣) الوظيفة الدبلوماسية والرأي العام:

أصبح الرأي العام عنصرا هاما في العمل الدبلوماسي، فكثير من الموضوعات العامة في العلاقات الثنائية أو الاقليمية أو المتعددة الأطراف تتحول الى قضايا الرأي العام، وحيث نرى أن المجتمع المدني والتجمعات المدنية وطرق الاتصال الاجتماعي أصبحت تشكل عنصرا فعالا في تشكيل السياسات، فان الدبلوماسية عليها أن تحسب تأثير هذه العناصر على تحركاتها والتوصيات التي ترسل بها الى القيادة السياسية في الدولة.

من هنا نجد أن معظم الدول الكبرى قد أنشأت ادارات متخصصة للدبلوماسية العامة وهو ما يعرف بالاتصال الجماهيري والتعامل مع الرأي العام والتساؤلات المستمرة من الأفراد والجماعات.

وأصبح التواصل عن طريق الاتصال الاجتماعي Social Media عنصرا هاما في كافة المؤسسات الدبلوماسية سواء وزارات الخارجية أو السفارات والقنصليات والبعثات في الخارج، ويلاحظ أن بعض الوزراء والسفراء – رؤساء الدول – يستخدمون مثل هذه القنوات مثل تويتر وغيرها لتقديم ملاحظات وتعليقات يعتبرونها غير رسمية ولكنها في الواقع تعبر عن خطاب السياسة الخارجية، يريد المسؤول تقديمها بشكل غير رسمي – ومثال ذلك ما قام به الرئيس الايراني روحاني على صفحته في التويتر في أول فترة توليه للرئاسة بإرساله رسالة مفادها أنه لا ينكر الهولوكست والتي انكرها رئيس الجمهورية السابق (أحمدي نجاد)، كمبادرة من الرئيس الجديد نحو الغرب والولايات المتحدة بالذات.

بل أن الدبلوماسية الرقمية أصبحت الآن جزءا من عمل الوزارات الخارجية والسفارات وقد أنشأت الخارجية الأمريكية – أثناء تولي هيلاري كلينتون – مبنى خاص للدبلوماسية الرقمية لمراقبة الأحداث على الشبكة والرد على بعض التساؤلات وطرح بعض الأفكار على صفحة وزارة الخارجية، وقد قامت معظم السفارات بطرح صفحات خاصة بها، تجيب على تساؤلات المواطنين وتعطيها الحق في تقييم عمل السفارة أو البعثة وتقييم خدماتها.

ان المعلومات تنتقل بشكل مختلف خلال الاتصال – ولكنها لا تنتقل في فراغ Political Vacuum وبالتالي تتأثر بالاطار السياسي الذي تتحرك فيه وهو ما وصفه أحد الكتاب بقوله أن سياسات الرأي دخلت السياسات الدولية Word politics entered world politics .

٤) الدبلوماسية على مستوى اقليمي ومحلي :

أيضا تحركت الدبلوماسية لكي تربط بين المجتمعات ليس فقط على المستوى القومي وإنما أيضا على المستوى الاقليمي والمحلي، فوجدنا تحركا لتنظيم زيارات لحكام الولايات الأمريكية للخارج وبدأ التحرك عالميا لتطوير العلاقات بين الولايات والمحافظات والأقاليم.

ويمثل هذا التحرك انعكاس لزيادة العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الاقاليم وبعضها نتيجة لتطور وسائل الاتصال والنقل وغيرها.

٥) الدبلوماسية المتخصصة :

كانت من نتائج التحرك السريع نحو الاعتماد المتبادل Interdependence.

ثم العولمة انه أصبحت القضايا التي تتعامل بها الدبلوماسية متعددة ومتنوعة ذات تخصصات علمية ومن هنا بدأ ظهور ما يسمى بالأنظمة المختلفة في المجالات العلمية والبيئية المتنوعة، فظهر ما يسمى نظام التعامل بالنسبة للبحار والمحيطات Regime ونظام التعامل بالنسبة للتحويلات المالية – أو أنظمة انتاج الدواء.

وبالتالي لم تعد الدبلوماسية في اطارها السياسي قادرة على التعامل مع كل هذه القضايا، من هنا ظهرت ما يسمى بالدبلوماسية المتخصصة.

ويشير جوزيف ناي في كتابه عن Power & Interdependence انه خمس الدبلوماسيين الأمريكيين العاملين في الخارج فقط من وزارة الخارجية أما الآخرون فمن وكالات ووزارات أخرى، وبالتالي فان القضية الأساسية أمام العمل الدبلوماسي هو التنسيق بين هذه الوكالات والتأكد من عدم تحرك ممثليها الى وكلاء مستقلين، بحيث يعوق التنسيق الشامل بين هذه المكاتب والوكالات في اطار السياسة العامة للدولة.

سابعا : الدبلوماسية ما بين السياسة الداخلية والخارجية.

من أهم الأثار الناجمة عن العولمة هو تشابك القضايا الداخلية والخارجية بشكل يجعل الوظيفة الدبلوماسية تتحرك على المسرحين الداخلي والخارجي في نفس الوقت.

فمعظم القضايا التي ظهرت بشكل أوضح في عصر العولمة أصبحت لها أبعاد داخلية، ولها مؤيدين ومعارضين من الداخل، تمثلها عندما تتعارض الدولة مع دولة أخرى بالنسبة لحقوقها البحرية، فإنها هنا تواجه مطالب من الصيادين، ومن الجمعيات البيئية ومن العملاء ومن رجال الأعمال الذين قد تتأثر مصالحهم من تغيير الاتفاقيات على الحقوق البحرية، كما أن شركات التنقيب عن البترول وشركات النقل البحري ستكون أيضا شريكة في هذه المفاوضات بشكل ما.

من هنا أصبح من المهم أن ندرس الدبلوماسية ليست فقط أفضل الطرق للمفاوضات مع الطرف الآخر وأنما أيضا أن تدرس ماذا سيحدث في الداخل حالة الوصول لاتفاقية، وخصوصا السؤال الرئيسي : من سيدفع الثمن ومن سيستفيد ومن سيسيطر داخلي[٣٥]؟.

وتدخل قضايا متعددة في هذا الاطار المتشابك مع السياسات الداخلية سواء قضايا العمالة في الخارج او قضايا النقل البحري والجوي أو القضايا المرتبطة بتسهيلات السفر والسياحة، ومن نماذج هذا أن اختلاف دولتين حول حقوق الطيران المدني في مونتريال عام ٢٠١٢م.

أيضا يجد الدبلوماسي نفسه محاطا بأسئلة وسائل الاعلام في بلده لدى وقوع مشكلة أو أزمة أو حادثة في البلدان الذي يمثل فيها بلده، وهنا يكون عليه أن يقدم تحليلا موضوعيا ولكن بأسلوب لا يؤدي الى زيادة حدة الأزمة أو التوتر.

ان كل هذه العناصر سواء الاقتصادية أو الثقافية او الاجتماعية التي زادت من خلال شبكات التواصل والتلاقي بين المجتمعات تجعل من عمل الدبلوماسي متعدد الأبعاد ولا تمكنه أن يمارس دوره بعيدا عن التطورات المجتمعية في العمل الدبلوماسي وفي البلد المرسل.

ثامنا : استشراف المستقبل.

أصبحت جزء مهما من عمل الدبلوماسية هو استشراف المستقبل والتعامل مع تطور التكنولوجيا وآثارها على المجتمع ولم يعد دورها التقليدي من متابعة التطورات الحالية والتفاوض بشأنها – بل من المهم أن يقوم الدبلوماسي بمتابعة تطورالمجتمع الذي يعيش فيه كي يقدم أهم هذه التطورات العلمية والاجتماعية الدولية ثم يقدم صورة مستقبلية للعلاقات بين دولته والدول التي يمثلها فيها.

الخاتمة :

الدبلوماسية ومنظومة القيم الانسانية الجديدة :

من أهم التطورات التي شهدها المجتمع الدولي هو ظهور الحوار والتحليلات حول منظومة القيم الانسانية المشتركة.

فقد ظهرت العديد من الكتابات والمقالات تتحدث عن ان هناك اختلاف في القيم ما بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية وهو ما أدى في نظر هذه الكتابات الى ظهور الارهاب وعدم احترام مبدأ حرمة النفس البشرية، كذلك ظهرت الكتابات عن صدام الحضارات وتفاعلها بشكل سلبي وأصبحت احدى الموضوعات الاساسية في المؤتمرات والندوات واللقاءات التلفزيونية.

ويلاحظ أن منظومة القيم العالمية قد تحركت في اتجاهين:

١. ظهور اتجاه الى صياغة القيم المشتركة بدأت منذ وضع ميثاق الامم المتحدة وبلغت نجاحا كبيرا في وضع الاعلان العالمي لحقوق الانسان عام ١٩٤٨م، ثم بدأت تصدر الاعلانات المتعددة عن المرأة والطفل والتعدد الثقافي وغيرها.

لكن هذا الاتجاه التقنيني (التقنيني أي وضع صياغة قانونية) فشل في أن يكون مؤثرا في السلوك السياسي[٣٦] والاقتصادي والاجتماعي للدول والمجتمعات بشكل كبير، وهو ما يوضحه بتجارب مثل معاملة اولايات المتحدة لأسرى غوانتنامو او التعامل مع القاعدة في اليمن أو غيرها من خلال طائرات Drone، القتل المتعمد دون محاكمة، وهو ما يستلزم أن يكون هناك حملات منظمة لتحقيق الالتزام بهذه القيم الجيدة.

٢. هو التصادم الجاري حاليا حول مفهوم القيم وتعريفها ومدى تطابق السلوك الدولي مع هذه القيم.

من هنا فان الدبلوماسية الآن أصبحت معنية ليس فقط بالمفاوضات السياسية ولكن أيضا بمعرفة مفاهيم قيميه وفلسفية ترتبط بالثقافة والحضارة التي تمثلها.

الهوامش

(1) Koehane Robert, and Nye Joseph jr. Power and Interdependence, fourth edition, Pearson: New York, 2012
(2) Kissinger Henry A., Does America Need a Foreign Policy? Toward a Diplomacy for the 21st Century. Simon & Schuster NY, 2001
(3) Berridge, G.R. Diplomacy: Theory and Practice, New York, Pelgrave Macmillan fourth Edition 2010
(4) Rosenau
(5) Koehane Robert, and Nye Joseph jr. Power and Interdependence, fourth edition, Pearson: New York, 2012
(6) Appardural, A . (1996): Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization, Minneapolis: University Minnesota Press
(7) Mathews, J.T. (1997): Power Shift: Carnegie Endowment for International Peace, pp 1-7
(8) Mittelman, J. H. (2000) : The Globalization Syndrome: Transformation and Resistance: Princeton University Press
(9) Balaam, David N. and Bradford Dillman Introduction to International Political Economy (Pearson Longman New York, 2011)
(10) Samuel Huntington: The Third Wave: Democratization in the Late Twentieth Century. Narman, OR: Univeristy of Oklahoma Press, 1991
(11) Mead, Walter Russel, The Tea Party and American Foreign Policy: What Populism Means for Globalism, Foreign AffairsMarch 2011
(12) Friedman, Thomas. The World is Flat . April 5, 2005. (Farrar, Straus and Giroux)
(13) Friedman, Thomas. The World is Flat. April 5, 2005. (Farrar, Straus and Giroux)
(14) Balaam, David N. and Bradford Dillman Introduction to International Political Economy (Pearson Longman New York, 2011)
(15) Kissinger Henry A., Does America Need a Foreign Policy? Toward a Diplomacy for the 21st Century. Simon & Schuster NY, 2001
(16) Strange, Susan "What is Economic Power and Who Has It?" International Journal 30 (Spring 1975): 219
(17) Strange, Susan "What is Economic Power and Who Has It?" International Journal 30 (Spring 1975): 219
(18) Globalisation and Diplomacy Iver B. Neumann Norweigen Institute of International Affairs No 724-2007.
(19) Power and interdependence ....p3,"a new national partnership," Speech by Secretary of state A. Kissenger at Los Angelos, January 24, 1975. News release, Department of State, Bureau of Public Affairs , Office of Media Services, p. 1
(20) A World Restored. Abid. P. 25.
(21) Akin Iwilade, The Impact of Globalisation on Diplomacy, akiniwilade. blog.

(٢٢) ايمان رجب، القوة المنافسة:مداخل تحليل الفاعلين العنيفين من غير الدول في المراحل الانتقالية، د/ خالد حنفي، اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية ،ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل ٢٠١٣ م ، ص١١

(٢٣) أحمد يوسف أحمد، الجامعة العربية: حديث الستين عاما.

http://www.ahmadyoussef.com

(24) Devetak Richard, Burke Anthony. An Introduction to International Relations. 2nd edition. Cambridge.

(25) Balaam, David N, Bradford Dillman; Introduction to International Political Economy, 5th Edition.

(26) Keohane / NYE . Power and Independence. 4th edition. Longman classics in political sciences.

(27) Akin Iwilade, The Impact of Globalisation on Diplomacy, akiniwilade. blog.

(28) Meyer, J. (1997): World Society and the Nation State: American Journal of Social Sciences.

(29) Geoffery R.d Underhill, Andreas Bieler , And Richard A.higgott (Eds.) , Non-state Actor And Authority In The Global System, (London: Routledg, 2000) Pp.1-4.

(٣٠) ايمان الرجب، القوة المنافسة : مداخل تحليل الفاعلين العنيفين من غير الدول في المراحل الانتقالية، د/ خالد حنفي، اتجاهات نظرية في تحليل السياسة الدولية ،ملحق مجلة السياسة الدولية، عدد ابريل ٢٠١٣ م، ص١١.

(31) A world restored . Ibid .

(32) Globalisation and Diplomacy Iver B. Neumann Norweigen Institute of International Affairs No 724-2007.

(33) Ibid.

(34) Appardural, A . (1996): Modernity at Large: Cultural Dimensions of Globalization, Minneapolis: University Minnesota Press.

(35) Keohane/ NYE . Power and Independence. 4th edition. Longman classics in political sciences.

(36) Cardoso, F. H. (2006): Predatory Globalization: A Critique: Princeton University Polity Press.